الأمر والنهي

الأمر عند علماء البلاغة هو (**طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام**)، ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الآمر لنفسه على أنَّه أعلى منزلة ممن يخاطب أو يوجه الأمر إليه سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا"، أمَّا **النهي** عندهم فهو: (**طلب الكف على جهة الاستعلاء**)، مع الإلزام، وقد ربط أغلب النُّحَاة بينه وبين أسلوب الأمر لما يحويانه من نقاط اشتراك كثيرة بينهما، يقول السكاكي في مفتاحه: "والنهي محذو به حذو الأمر في أن أصل الاستعمال (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء، فإن صادف ذلك أفاد (الوجوب) وإلا أفاد طلب الترك".

ويأتي **الأمر** في العربية على أشكال، ومنها:

- **شكل فعل الأمر.**
- **شكل الفعل المضارع المقترن بلام الأمر.**
- **شكل اسم فعل الأمر.**
- **شكل المصدر النائب عن فعل الأمر.**

أما شكل **النهي** فيتكون من (**الأداة (لا) الناهية + الفعل المضارع المجزوم بها**).

ـ الدلالة المباشرة للأسلوبين:

إنَّ معرفة منزلة المتلفظ بالأُسْلُوب بالنسبة إلى سامعه أو قارئه أهي منزلة المتساويين أم هي منزلة الأعلى إلى الأدنى أم العكس؟، ثم أتربطهما علاقات اجتماعية مثل علاقة الابن بالأب أو الطالب بالمدرس أم لا؟ وكذلك معرفة غاية الخطاب هل هي إلزامية أو إرشادية أو إخبارية أو تواصلية أو غير ذلك، تفيدنا كثيرًا في تحديد المعنى الدقيق لأي نصٍّ، فالأمر المقترن بالاستعلاء والإلزام، يوجب النظر إلى حال المخاطب فإن كان أقل مرتبة من الآمر كان الأُسْلُوب أمرًا وكان المأمور ملزمًا بتنفيذ الطلب، قال تعالى: ﴿**ولتكُن مِنكُم أمَّة**﴾، أمَّا إذا كان المخاطب مساويًا في المرتبة للآمر فحينئذٍ يسمى الطلب التماسًا لانتفاء صفة الإلزام والاستعلاء، وأما إن كان الأُسْلُوب صادرًا ممن هو دون المخاطب سمي الطلب رجاءً إن كان لغير الله وسمي دعاءً إن كان موجهًا لله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾، في هذه الآية عدد من الأَساليب الخبرية والإنشائية التي جاءت على المَعْنَى العام المباشر للأسلوب، فابتدأها تبارك وتعالى بالنداء وهو أسلوب غالبًا ما يأتي به منشئ الحديث لتنبيه المقابل وتحديد هويته، فالمنادى هنا هو كل الَّذِين آمنوا به وصدقوا رسالة رسوله محمد (ﷺ) مستبعدًا غير المؤمنين من دائرة خطابه ليؤسس بعد ذلك لما يريد قوله من تشريعات وأحكام فيلزم المؤمنين بالسعي إلى صلاة الجمعة وترك البيع من خلال فعلي الأمر (**اسْعَوْا**) و(**ذَرُوا**) في هذه الآية المباركة، وهذا المقام التعليمي أو التشريعي الواضح في هذه الآية المباركة لا يناسبه إلا الأُسْلُوب المباشر الَّذِي يحقق الغاية ويصيب الهدف.

فالتناسب بين الأُسْلُوب ومتلفظ القول وهو الله سبحانه وتعالى والغاية التشريعية هو الَّذِي يوجِّه التأويل نحو المباشرة هنا ويستبعد أيَّ احتمالٍ قد يتوارد إلى ذهن السامع (**الَّذِين آمنوا**)، فليس ثمَّة شك في أن السِّيَاق الخارجي هنا قد عمل على إحاطة الأُسْلُوب بدلالة الأمر المباشرة فلم يدع له مجالًا يؤول فيه بغير هذا المَعْنَى.

ومجيء الأمر على حقيقته كثير ولا سيما في كلام الله عزَّ وجلَّ وكلام رسوله محمد (ﷺ)، إذ تتطابق فيه الغاية من الخطاب وهي في الغالب تشريعية أو إرشادية أو تعليمية مع مكانة الآمر أو الناهي، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

١. ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾، فالأمر هنا جاء على حقيقته لمعرفتنا بأنَّه صادر من الله سبحانه وتعالى إلى البشر لغاية تشريعية، فضلاً عن وجود السياق اللغوي اللاحق المتمثل بألفاظ مثل: (**جَزَاءً**)، و(**نَكَالًا**) الدالة على العقاب وسببه.

٢. ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾، إذ تطالعنا الأفعال: (**قُلِ**) الموجَّه إلى الرسول (ﷺ)، و(**اتَّقُوا**)، و(**أَصْلِحُوا**)، و(**أَطِيعُوا**) الموجَّهة إلى جمع المؤمنين بدليل اللاحقة الشرطية (**إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**)، وما ورد من سبب نزول هذه الآية إذ يعمل كعنصر أو موجِّه

خارجي فمما روي في سبب نزول هذه الآية أنه حدث في يوم بدر خلاف بين المسلمين في الغنائم، إذ ذهبت طائفة من المسلمين ـ بعد أن انهزمت جموع الكفر ـ في أثر الكفار المنهزمين يلاحقونهم ويقتلون منهم بينما أكبت طائفة أخرى من المسلمين تجمع الغنائم وراحت طائفة ثالثة تحيط الرسول لئلا يصيبه مكروه "حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الَّذِين جمعوا الغنائم: نحن حويناها، فليس لأحد فيها نصيب، وقال الَّذِين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق به منا، نحن منعنا عنها العدو وهزمناهم. وقال الَّذِين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم: لستم بأحق منا، نحن أحدقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وخفنا أن يصيب العدو منه غرة، فاشتغلنا به، فنزلت: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾ فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين".

ـ الدلالة المجازية للأسلوبين:

يخرج أسلوبا الأمر والنهي عن معناهما المباشر إلى معانٍ كثيرة، منها:

١. الإقدار والتمكين:

قال تعالى: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْت مِنْهُمْ بِصَوْتِك**﴾، إذ يخاطب الله سبحانه وتعالى إبليس طالبًا منه ـ إن استطاع ـ أن يستفزز عباده وهو أمر يتنافى مع معرفتنا بالله عزَّ وجلَّ لاستحالة أن يكون قد عني الأمر بالمعصية، وإنَّما معنى هذا الأُسْلُوب أنني أمكنتك وأقدرتك على تهييج العباد بالوسوسة أو دعائهم إلى الشر، والقرينة الموجِّهة لدلالة هذا الأُسْلُوب هي قرينة ثقافية/ دينية كما أوضحنا.

٢. الدعاء:

قال تعالى: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾.

وقال تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ، فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾.

الآية الأولى دعاء سيدنا يوسف (عليه السلام) لـمَّا جمع الله سبحانه وتعالى له أبويه وإخوته ومكنه في الأرض بأن أعطاه ملك مصـــر، فقال داعيًا الله أن يتوفاه وأن يلحقه بآبائه الصالحين، أمَّا الآية الثانية فهي دعاء سيدنا موسى (عليه السلام) "لما أخبره ذلك الرَّجُل بما تمالأ عليه فرعون ودولته في أمره، خرج من مصر وحدَه، ولم يألف ذلك قلبه، بل كان في رفاهية ونعمة ورئاسة (**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ**) أي: يتلفَّت (**قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**) أي: من فرعون وملئه، والَّذِي سوّغ لنا مثل هذا التأويل في هاتين الآيتين وأمثالهما استحالة أن يأمر العبد ربّه.

ولا يختلف النهي عن الأمر في إمكانية خروجه إلى معنى الدعاء إن كان موجَّهًا إلى الله عزَّ وجلَّ، يقول المبرِّد: "واعلم أَنَّ الطلبَ من النهي بمنزلته من الأَمر، يجري على لفظه كما جرى على لفظ الأَمر، ألا تَرَى أَنَّك لا تقول نهيت مَنْ فَوْقِي، ولكن طلبت إليه وذلك قولك: لا يَقْطَع الله يَدَ فلان ولا يَصْنَع الله لعمرو، فالمخرج واحد والمَعْنَى مختلف"، قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾، فجاء أسلوبا الأمر والنهي (**لا تُزِغْ**) و(**هَبْ**) على التوالي في هذه الآية المباركة ليدلا على معنى الدعاء، والمرجِّح في ذلك ما نراه من المنزلة بين طرفي العملية التواصلية: الطالب (المخلوق)، والمطلوب منه الله سبحانه وتعالى (الخالق)، ولذا ليس من المعقول أن يأمر من هو عبد ضعيف ذليل ربه الملك القوي المتعال. فمكانة المخاطب عند سامع هذا الأُسْلُوب لا تسمح بخروجه بمعناه الحقيقي.

ويدعونا تركيب النهي في مثل قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾، إلى التأمل في أقوال المفسرين والبلاغيين عن خروج هذا الأُسْلُوب عن معناه الحقيقي (النهي) إلى معنى مجازي هو الدعاء، يقول أبو حيان الأندلســـي مبينًا معنى الدعاء من المنظور الإسلامي: "مخّ العبادة، إذ الداعي يشاهد نفسه في مقام الحاجة والذلة والافتقار، ويشاهد ربه بعين الاستغناء والإفضال"، فهذا وأمثاله كثير كلها أَسَالِيب دعاء جاء الله سبحانه وتعالى بها ليعلمهم الدعاء.

٣.الوعد:

قال تعالى: ﴿**وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ، إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ**﴾، يعالج هذا النَّصّ القرآني الكريم حال فئتين، الفئة الأولى كافرة جاحدة، والثانية مؤمنة تتبع الذكر وتخشى الرحمن بالغيب ثم بين ثواب الفئة الثانية وهو المغفرة والأجر الكريم، فهو وعد من الله عزَّ وجلَّ لمن اتبع الذكر وخشي الرحمن بالجنة.

٤.الاستهانة وعدم المبالاة:

قال تعالى: ﴿**قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾، هذا كلام السحرة لفرعون لمَّا جاءتهم البينات على حقيقة ما دعاهم إليه موسى (عليه السلام)، فقالوا (**فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ**) فنحن لن نبالي؛ لأنَّ هذه الحياة الدنيا فانية والدار الآخرة باقية.

٥.الخبر:

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِين خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ**﴾، فالفعل (**مُوتُوا**) في هذا الموطن جاء خبرًا في صورة الأمر "وإنَّما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته، وتلك ميتة خارجة عن العادة، كأنهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالًا من غير إباء ولا توقف، كقوله تعالى: (**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة، وأنّ الموت إذا لم يكن منه بدٌّ ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون في سبيل الله".

٦.الاعتبار:

قال تعالى: ﴿**فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ**﴾، وهو أمر منه سبحانه وتعالى بالفعل المضارع المسبوق بلام الأمر ذامًا كل من أنكر البعث والنشور من بني آدم وداعيًا إياهم بالتفكر والاعتبار بعد أن ذكّرهم بأنه خلقهم من شيء حقير وأنه قادر على إعادتهم إلى صورتهم

الأولى، يقول عزَّ وجلَّ في سِيَاق سابق لهذا الأُسْلُوب: ﴿**قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ، ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ**﴾، ثم يذكِّرهم بنعمته وفضله عليهم وأنه هو الرازق والمدبر لِمَا يعتاشون هم وأنعامهم عليه، يقول: ﴿**أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا، وَعِنَبًا وَقَضْبًا، وَزَيْتُونًا وَنَخْلا، وَحَدَائِقَ غُلْبًا، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا، مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ**﴾، فالله سبحانه وتعالى هو الَّذِي أنزل من السماء ماءً وهو الَّذِي جعله يتخلل الأرض ليصل إلى الحب المودع فيها فتنبت بإذنه تعالى تلك الأصناف المتنوعة ممَّا يأكل منه الإنسان والأنعام التي سخرها لخدمته.

٧. التخيير:

قال الشاعر:

عش عزيزًا أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

فمعنى التخيير هنا قد جاء من الأداة العاطفة (**أو**) التي توسطت أمرين متناقضين، هما: (**عش**)، و(**مت**)، إذ لا يعقل أن يمتثل لهما المخاطَب فيكون أمرًا حقيقيًا.

٨. الإباحة:

يقول الأستاذ إلى طلبته: **أجب عن أي سؤال تشاء.**

والفرق بين التخيير والإباحة أن التخيير بين شيئين محددين يختار المخاطَب أحدهما، أمَّا الإباحة فتكون غير محددة.

٨. الالتماس:

ويكون الالتماس بين المتساويين في الرتبة، قال الشاعر:

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

وقلنا في هذا البيت أنه بين متساويين في الرتبة؛ لأنَّه يخاطب خليليه، ومثله في النهي قول الشاعر:

لا تزدني جوًى وفرط عذاب ياصديقي فلست تعلم ما بي

إذ اتضحت العلاقة بين المتكلم (الشاعر)، والمخاطَب من ذكره لكلمة (صديقي).

هـذا ويخـرج أسـلوب الأمـر إلى معـانٍ كثـيرة أخـرى كـالإكرام، والتمنـي، والتشـفي، والتنكيل، وغيرها من المعاني التي يؤدي فيها السِّيَاق الدور الرئيس والمتحكم الوحيد في إنتاج الدلالة.